المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسوله الكريم

وبعد فسيظل صيف سنة 1950 حافلا بالذكريات السعيدة، مقرونا بالمناسبات الحبيبة ، ففى ذلك الصيف زرت مكتبة الاسكوريال العامرة بالمخطوطات العربية النفيسة، وطليطلة معقل القروبة وحصنها حقبة طويلة من الزمان ، وقرطبة ذات المسجد الجامع الناطق ببراعة المعمار العربى ، وغرناطة وقصورها الحمراء ، واشبيلية قاعدة حكم الموحدين ومنارة لاخر الدا وقصرها العربى الطراز. ثم عبرت الى العدوة الافريقية لاضم الى ما شاهدته من مجد العرب فى اوربا ، صورا جديدة

عن ماضى العرب وحاضرهم فى شمال افريقية. فسعدت بلقاء اخوة اعزاء ، وابناء اوفياء ، ووجدت فيهم اهلا باهل واخوانا باخوان .

تجمعت هذه الذكريات والافكار والتجارب كلها فى ذهنى، وصرت استرجعها الفينة بعد الفينة ، وأجد فى استرجاعها متاعاً واملا وقوة وحياة يجب ان تستمر، وان تنمو وأن تخلد.

واذا كانت الافكار تتحد حينما تخرج من حيز المعنوية الى حيز الواقع المحسوس، فلقد ظلت جميع هذه الافكار عندى حيرى تنتظر اللحظة التى تظهر فيها رمزا مجسداً محسوسا وشاء الله ان اقرأ مسابقة التاليف لمعهد مولاى الحسن ، عن سنه 1951 ، وان اجد بين موضوعاتها « ابن الابار ، حياته ، ومؤلفاته» ، وان اجد فى «ابن الابار» ذلك الرمز الذى يجمع كل ما عندى من الذكريات والمعانى والافكار ، تلك التى تحاول ان تبرز وتتجسد. الم يكن ابن الابار مسلما عربيا اندلسيا؟ الم يولد فى الاندلس الاسلامية العربية ؟ الم ينشأ بها ويمضى

نصف حياته فيها؟ ألم يتغذ بثقافتها وآدابها ويشاهد حضارتها ويدرك مجدها؟ ألم يخلد كل هذا فيما ألف وخلف من مخطوطات؟ ألم يعبر الى المدوة الافريقية ليعيش فيها النصف الثانى من حياته، ويتمم مؤلفاته؟ اذاً فقد جمع بين مجد العروبة وثقافتها فى الاندلس وافريقيا. فليكن هو اذاً الرمز الذى يعبر عن ذكرياتى وتجاربى ومشاهداتى فى الاندلس وافريقيا اثناء صيف سنة 1950 م.

واذا كان ابن الابار شخصية خالدة بآثارها، فان كل ما قمت به - حينما كتبت عنه - هو ان ربطت ذكرياتى ومشاهداتى اثناء ذلك الصيف بهذه الشخصية التاريخية الخالدة، فضمنت للذكريات والمشاهدات الحياة والبقاء، فانا استعيدها كلما اقرأ «ابن الابار حياته ومؤلفاته»، وانا استعيد بها تاريخا طويلا عريضا حافلا بالحوادث السارة والمحزنة، نعم، والمحزنة التى لنا فيها عظة وعبرة.

والمعهد الكريم (معهد مولاى الحسن) يؤدى خدمة جليلة، تذكر فتشكر. فهو لا يشجع الباحثين والمنتجين من

الادباء والمؤلفين فحسب، ولكنه يبعث من تراثنا العربى ما قبرته يد الزمن الماتية، وينشر من آثارنا ما هو جدير بالحياة والفخار. فالمعهد بذلك يؤدى خدمة مزدوجة.

وان سعادتى بان احظى بالمساهمة فى جهود هذا المعهد الكريم، والعمل لتحقيق بعض اهدافه لتفوق - وربى - فرحتى بنيل جائزته. جزى الله مؤسسيه والعاملين من رجاله خير الجزاء.

(ان احسنتم احسنتم لانفسكم، وان اسأتم فلها) صدق الله العظيم.

جامعة مانشستر مايو سنة 1952 عبد العزيز عبد المجيد

كلمة التصدير

كان ابن الابار بشراً ككل البشر، ولكن معظم البشر اذا ماتوا مات اسمهم معهم. اما صاحبنا فلم يمت معه اسمه، بل بقي حيا خالدا في بطون الكتب، وفي آذان الناس، وعلى ألسنتهم. بقي اسمه حيا خالداً لانه اقترن بحوادث عصره الخالدة، وقام فيها بدور ان لم يكن الدور الاول فهو دور هام على كل حال.

لقد كان أحد أولئك الاشخاص الذين اشتركوا في سلسلة من مآسي الوطن والمال والروح تلك التي حدثت في جنوب اسبانيا - الاندلس - وفي بلنسية خاصة، فاشترك فيها باعتباره ضحية من ضحاياها. ولم تبسم له الحياة الا قليلا. ولقد نجا من الموت او الاستشهاد في وطنه الاول، بلنسية، فهاجر امدا في ان

يستقر بوطنه الثانى، تونس، ويعيش ناعم البال، آمن الجانب فى ظل السلاطين من بنى حفص. ولكنه لم يصر الى حال اسعد، او حظ أوفر، فالمتنافسون والحاسدون يكيدون له ويتألبون عليه، وهو يقاوم التحدى فى كبرياء، ومنجهية وهو يسخط السلطان أبا زكرياء، ثم يترضاه ويتوسل اليه بابنه وخليفته، فيعفو السلطان عنه. ويعود ابن الابار فيتحدى شفيعه وولى نعمته السلطان المستنصر وتعود الدسائس فتعمل مرة اخرى وتنجح فى اغضاب السلطان عليه. فيأمر بالتخلص منه. وتكون نهايته، الحلقة الاخيرة من سلسلة المآسى التى شاهدها وقاساها.

يقتل الرجل قعصا بالرماح. ثم يشهر به، فيحرق شلوه وما عثر عليه من كتبه، ومؤلفاته، وأشعاره.

هكذا تكون الخاتمة ويكون تاريخ الرجل فى حياته وموته نتيجة لتفاعل استمر نحوا من ستين سنة، بينه من ناحية - شخصيته ومواهبه وخلقه - وبين البيئات الاجتماعية والسياسية التى عاش فيها بالاندلس وتونس من ناحية اخرى.

ولما كنا نستطيع أن نرى فى كثير من الوضوح حياة الانسان وانتاجه اذا درسناهما فى ضوء بيئته، وما وقع فيها من حوادث أثرت فيها، فلا شك سنرى ابن الابار [1] فى كثير من الوضوح إذا عرضنا وصفا البيئات التى عاش فيها، بيئاته الطبيعية، والاجتماعية، والسياسية، وما وقع فيها من حوادث تأثر بها.

فلنبدأ اذاً بذلك.

---

(1) وفى لسان العرب: أن الابار هو صانع الابر جمع ابرة وكذلك الذى يصلحها. قال مؤلف اللسان ـ ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: ـ « والابرة مسلة الحديد والجمع إبر وإبار » وصانعها أبار ... والذى يسوى الابر يقال له أبار » فهل كان هذا مجرد لقب فقط أو كان أحد أجداد المترجم يزاول صناعة الابر؟ وثمة آخرون يلقبون بابن الابار، من هؤلاء ابو جعفر ابن الابار، وابو جعفر احمد الاشبيلى (راجع صفحة 29 ـ 32 الجزء الثاني من نفح الطيب طبعة اوربا)